يراني عند نفيسة في كل يوم مُصبحةً حينًا وممسية حينًا آخر، أواسيها بالقول دائمًا، وأواسيها بالدموع أحيانًا، وماذا أملك غير القول والبكاء. ثم ابتسمت لزوجها ابتسامة حزينة وقالت له: إنَّ لي إليك حاجتين تستطيع أن تجيبني إليهما، وما أشك أنك ستظفر على ذلك بثواب الله. قال سليم: وما ذاك؟ قالت زبيدة: فأمَّا أولاهما فأن تُؤَخِّر زواج خالد إلى أبعد أمد ممكن، فلعلَّ الله أن يرد إلى نفيسة صحتها، فتحتمل هذه المصيبة خيرًا مما تحتملها الآن. قال سليم: فإنَّ خالدًا لن يتزوج قبل أن يحول الحول على موت حميِّه، وما زال بيننا وبين ذلك شهور. قالت زبيدة: أخشى أن تكون محنة نفيسة في صحتها أطول من ذلك.

قال سليم: وما حاجتك الثانية؟ قالت زبيدة: أن تبر بنفيسة وتشعرها دائمًا بأننا لم نكن عابثين حين خطبنا ابنتها جلنار لابننا سالم. قال سليم: وهي تشك في ذلك؟ قالت: لا أدري ولكن هذا الحديث يرضيها فيما أعتقد، ولعلَّه أن يفتح لقلبها البائس فُرجة من أمل. قال سليم: فسنزورها معًا إذا كان الغد.

قالت زبيدة: وحاجة ثالثة ليس بينها وبين نفيسة صلة. قال سليم: ما ذاك أيضًا؟ وهمت زبيدة أن تُجيب، ولكن العَبْرَة حبست صوتها، فانصرفت من الحجرة مسرعة، وتبعها زوجها مسرعًا حتى أدركها فضمها إليه وجعل يقبِّل رأسها وسألها: ما حاجتك؟ وماذا تريدين؟ أفصحي ولك عهد الله أن أجيبك إلى ما تبتغينه إن كان ذلك في طاقتي. قالت: لا تدخل علي ضرة، فإن هممت بذلك، فطلقني واردُدْني إلى أهلي الفقراء، ولا تُمسكني على كُرهٍ منِّي، وإن مرضت عندك فلا تهجرني مهما يطل مرضي، وما أظنه يطول. هنالك أغرق سليم في الضحك، وضمَّ امرأته إليه مخلصًا لها عطوفًا عليها، وهو يقول: إنكن لناقصات عقل ودين.